مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

وقفات تعليمية نبوية و أثرها في تجويد المدرسة المغربية

عزالدين الراجعي
rajaiazeddine@gmail.com

يهدف هذا البحث الى تشخيص مكامن الخلل التي يعاني منها التعليم المغربي، بعدما أجمعت التقارير على احتلال المغرب لمراتب متدنية من حيث جودة التعليم وارتفاع نسب التكرار والهدر المدرسي وتفشي الظواهر السلبية في الوسط المدرسي، لهذا حاولت رصد أهم الاختلالات بشكل علمي وموضوعي، باعتماد المنهج الوصفي، مع الرجوع إلى السنة النبوية لاستشراف الحلول العملية لهذه المعضلة؛ باعتبار النبي صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول والذي استطاع بكل اقتدار أن يخرج الناس من ظلمات الجهل والجهالة، إلى أنوار العلم والهداية، حيث كانت سنته الشريفة متسمه بطابع الربانية والشمولية والعالمية. ومن تم خلص البحث الى تحديد أربعة عناصر للضعف واقتراح الحلول لتجاوزها: أولا إسناد مهمة التعليم والإدارة إلى بعض الأطر التي تنقصها الكفاءة وروح المسؤولية، ولا يمكن حل ذلك إلا باعتماد معايير موضوعية عند التوظيف، ثانيا غياب الرغبة في التحصيل عند فئة واسعة من المتعلمين، ولا يمكن حل ذلك إلا بعنصر التشويق والقرب من المتعلم لتحفيزه على التعلم، ثالثا اعتماد أساليب تعليمية متجاوزة لا تواكب العصر، مما يستدعي الاستفادة من الطرق الحديثة والتكنولوجيا المتطورة في إيصال المعلومة، رابعا التخمة التي تعاني منها المناهج الدراسية من حيث عدد الدروس والمواد التي تثقل كاهل المتعلم، ولابد من مراعاة قدراته واعتماد التدرج والتركيز على المهم.

الكلمات المفتاحية

تعليم- سنة نبوية – منهاج– اختلالات– المدرسة المغربية

Prophetic educational radiance

And its impact in overcoming some of the shortcomings of the Moroccan school

RAJAI AZEDDINE

rajaiazeddine@gmail.com

This research aims to diagnose the deficiencies that Moroccan education suffers from, after reports agreed that Morocco occupies low ranks in terms of the quality of education, high rates of repetition and school dropout, and the spread of negative phenomena in the school environment. Therefore, I tried to monitor the most important deficiencies in a scientific and objective manner, by adopting the descriptive approach, while referring to the Sunnah of the Prophet to anticipate practical solutions to this dilemma.

Considering that the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, was the first teacher who was able with all his ability to bring people out of the darkness of ignorance and foolishness, into the lights of knowledge and guidance, as his noble Sunnah was characterized by the character of godliness, comprehensiveness, and universality. The research concluded by identifying four elements of weakness and proposing solutions to overcome them:

First, assigning the task of education and administration to some frameworks that lack competence and a sense of responsibility, and this can only be solved by adopting objective criteria when hiring. Second, the absence of the desire to achieve among a wide category of learners, and this can only be solved with the element of excitement and closeness to the learner to motivate him to learn. Third, adopting outdated educational methods that do not keep pace with the times.

Which requires making use of modern methods and advanced technology in delivering information. Fourth, the glut that the school curricula suffers from in terms of the number of lessons and materials that burden the learner, and his abilities must be taken into account, and the gradual adoption of the curriculum must be followed and the focus on what is important.

Keywords

Education - Sunnah of the Prophet - Curriculum - Imbalances - Moroccan School

تقديم:

أرى أنه من الواجب الحديث أولا عن خصـــائص المنهج النبوي التعليمي، كتوطئة لهذه المداخلة، حتى نؤسس للمصدر الذي نستلهم منه آليات الرقي بالحقل التربوي في بلدنا الحبيب.

فإذا كان من المسـلم به شـرعا اتباع كل مسـلم لشـريعة الله تعالى والانقياد التام لأحكامها والتسـليم لها بلا جدال ولا مراء، امتثالا لقوله تعالى في سورة الأحزاب ((**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا** (36))

فإن تلك الشـريعة، قد أثبتت عبر العصـور أحقيتها بالإتباع، ورسـمت للناس عبر كل الأزمنة طريق الهدى والفلاح، وسـبيل التفوق والنجاح، حتى شـهد بذلك العدو قبل الصـديق، وشـهد به من هو بعيد عنها وغير متبع لها، قبل أن شـهد به شـاهد من أهلها، يقول برناردشـو1: **" لقد وضـعت دائما دين محمد موضـع الاعتبار السـامي بسـبب حيويته العظيمة، فهو الدين الوحيد الذي يلوح لي أنه حائز أهلية العيش لأطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل زمان ومكان**."2

و يقول مايكل هارت3 : " **إن نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم هو فعلا أول العظماء، سواء كانوا مائة أو مائتين أو ثلاثة ...ولم يشـهد التاريخ أن اكتمل دين بكل عناصـره الأخلاقية والفلسـفية والتشريعية إلا دين الإسلام ،الذي اكتمل تماما في حياة محمد رسول الله ،ثم اتسع بعد وفاته و انتشر في مشـارق الأرض ومغاربها ...وما زال الكثيرون في جميع أنحاء العالم يتجهون بقلوبهم وعقولهم نحو الإسلام** .."4

ولعل من أبرز خصائص المنهج النبوي التعليمي نذكر ما يلي:

1/ الربانية: تتجلى ربانية المنهج النبوي التعليمي في كون سـائر ما احتواه من مواد وقضـايا كلها من عند الله، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن إلا مبلغا عن رب العالمين، وما الوحي إلا مصدر كل ما بثه صلى الله عليه وسلم للناس و علمهم إياه مصداقا لقوله عز و جل: "**و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**"5 .

1- الفيلسوف والمفكر الاسكتلندي

2 - في الدعوة إلى الإسلام بين غيرالمسلمين : محمد عزت الطهطاوي ، ص 48 – 49 .

3 - باحث ومؤلف أمريكي صاحب كتاب (الخالدون المائة أعظمهم محمد رسول الله) صلى الله عليه وسلم

4 - علماء الغرب يدخلون الإسلام : محمد حلمي ، ص 154- 155.

5 - سورة النجم ، (الآية : 3،4)

كما تميز الرسول صلى الله عليه و سلم بصفات و سمات جعلت منه معلم البشرية الأول بامتياز، فالنبي صلى الله عليه وسلم قد صنع على عيني الله ، حيث حباه ربه عز وجل بصفات خَلْقية حققت له الكمال البشري، فتأتى له بذلك إقبال الناس عليه بكل حب، قال الله تعالى :" و إنك لعلى خلق عظيم"6.

2/ الشمولية :

الإسلام نظام ممنهج ومتكامل يهتم بشؤون الحياة بمختلف مجالاتها، حيث جاء مبيناً كل ما يحتاجه الإنسان في حياته اليومية والعملية، إذ يضع القرآن الكريم بين يدي المسلم كافة القواعد الكلية والخطوط الرئيسية بالإضافة إلى احتوائه على مرجعيات ومعايير ذات علاقة بحياة الإنسان في الدنيا، ويتطرّق إلى أدقّ التفاصيل في حياتنا، وفق منهج يتناسب مع كافة الأزمان والأماكن.

ومن هذا المنطلق يتأكد بأن المنهج النبوي التعليمي اتسع مستوعبا جميع مناحي الحياة و مجالاتها، محيطا بكل ما يلزم الناس في معاشهم و معادهم ؛ حيث لم يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا وبينها تصريحا أو تلميحا، ومن شواهد ذلك أن المشركين لما أرادوا أن يعيبوا النبي صلى الله عليه و سلم و يستهزئوا به قالوا فيما رواه سلمان رضي الله عنه (قَالَ لَنَا الْمُشْرِكُونَ : " إِنِّي أَرَى صَاحِبَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ حَتَّى يُعَلِّمَكُمُ الْخِرَاءَةَ ، فَقَالَ : أَجَلْ إِنَّهُ نَهَانَا أَنْ يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِيَمِينِهِ ، أَوْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ ، وَنَهَى عَنِ الرَّوْثِ وَالْعِظَامِ ، وَقَالَ : لَا يَسْتَنْجِي أَحَدُكُمْ بِدُونِ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ. ")7

3/ العالمية:

بعث النبي صلى الله عليه و سلم خاتما للأنبياء و المرسلين، فكان من الطبيعي أن يكون لرسالته و منهجه امتداد عبر الزمان و المكان، سواء تعلق الأمر بالمضامين والمحتوى من أحكام و تشريعات و قيم و مبادئ ، أو فيما تعلق بالأدوات و الوسائل المعتمدة لتلقين البشرية تلك الأمور و تعليمهم إياها.

قال الله تعالى في خواتيم سورة الأنبياء: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ (106)

وفي سورة سبأ نقرأ قوله تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ (28)

---

6 - سورة القلم ، (الآية : 4)

7 - صحيح مسلم ح رقم : 262 كتاب الطهارة- باب الاستطابة

فكل هذه الخصائص تؤكد أحقية المنهج النبوي التعليمي بالإتباع، لما ميز الله تعالى به هذا المنهج، الذي يستمد تعاليمه من مشكاة الوحي الرباني الصادر من لدن حكيم خبير، حتى يحقق الهدف من البعثة المحمدية الشريفة، ويكون خير منهج لخير أمة أخرجت للناس.

فالتأكد على كل هذه الخصائص – وغيرها كثير- يمهد لاتخاذه نبراسا يضيء سبيل الإصلاح المنشود، وينهل من مشكاة النبوة العطرة معالم الخروج الآمن من براثين التخلف والركود، إلى درجات الرفعة والتمكين(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ (4) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ (5) [8]

و إذا لكل مدرسة روادها، يسطع نجمهم حينا من الدهر ثم يأفل سيرا على سنن الكون، كحال مدرستنا المغربية الأبية، التي ظلت عبر امتداد الزمن مشرعة الأبواب ترحب بطلاب العلم من كل حدب وصوب، وتنهل من معينها الصافي المشارقة والمغاربة والأفارقة، يلِجُونها بكل عشق للعلم الأصيل، وينهل من فيض عطائها كل باحث عن النفع العميم.

هذه المدرسة التي سقطت اليوم في هفوات عديدة، وتعثرت بفعل عوامل متشعبة، حتى صار واقعها مؤلما، كما شهدت بذلك تقارير9 صادرة عن مؤسسات تتصف بالمصداقية والموضوعية والنزاهة الفكرية. وتسعى هذه التقارير في مجملها إلى الوقوف عند نقط القوة والضعف في المنظومة التعليمية وفي نفس الوقت تقديم مجموعة من الاقتراحات والتوصيات الممكن اعتمادها لتجاوز مكامن الخلل المرصودة.

وكخلاصة لتلك السقطات التي تعاني منها مدرستنا المغربية، سأقتصر على أربع تجليات، هي:

1/ إذا أسند الأمر لغير أهله فانتظر الساعة:

2/ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ

3/ الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس به:

4/ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

---

8 القصص ، 4- 5

9 تقرير »خمسون سنة من التنمية البشرية وآفاق سنة 2025 « : صدر في سنة 2005 بمناسبة الذكرى الخمسينية لاستقلال المملكة المغربية، و تقرير صادر عن البنك الدولي عنوانه "إصلاح التعليم في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا"، سنة 2008، والتقرير الأول للمجلس الأعلى للتعليم حول حالة المنظومة الوطنية للتربية والتكوين وآفاقها الصادر سنة 2008، وتقرير صادر عن برنامج الأمم المتحدة للتنمية حول التنمية البشرية في العالم. سنة 2009، و تقرير صادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي (جنيف- سويسرا) حول وضعية التعليم بالعالم. سنة 2013، وتقرير منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة - اليونسكو- يناير 2014.

التجلي الأول: إذا أسند الأمر لغير أهله فانتظر الساعة:

إن المنشغل بالحقل التعليمي بوطننا الحبيب، يلامس التحول الكبير الذي حدث للمشتغلين بهذا القطاع؛ فبعدما تخرجت أجيال على يد نساء ورجال تعليم شرفاء، خدموا وطنهم بكل إخلاص وتفان في أداء الواجب، وكانوا بحق شامة بين الناس بعلمهم وثقافتهم وحكمتهم وحسن سيرتهم، وأفنوا أعمارهم في تعليم الأبناء وتربيتهم، ابتداء من عون الحراسة إلى مدير المدرسة، نعاني اليوم من شبه انقراض لمثل هؤلاء الشرفاء، بعدما خارت القوى وانحطت العزائم إلا من رحم الله وقليل ما هم، وقليل من عبادي الشكور.

ويعزى ذلك لعوامل عدة، منها :

- ضعف الوازع الديني عند البعض، وسمه إن شئت "انعدام الضمير"
- ضعف المستوى العلمي لبعض المشتغلين في التعليم، من حيث التخصص، أو من حيث الديداكتيك.
- ضعف الارتباط بين المدرس (ة) ومتعلميه، أو ضعف التواصل بينهما.

والأكيد أن في سنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم الحلول العملية لهذه المشاكل، ويظهر ذلك جليا من خلال:

أ/ التوجيه نحو حسن اختيار معلم الناس:

فربنا جل في علاه اصطفى من يحمل للناس دينه ويبلغهم رسالته، قال تعالى في سورة الحج: (ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ (7) الآية 73

وقال سبحانه في سورة الأنعام ﴿اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ الآية 124

وفي الحديث عن أَبُي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ " رواه مسلم

يستفاد من ذلك كله، وجوب الحرص على حسن انتقاء المشتغلين بحقل التعليم، معرفيا ومهاريا، وأيضا سلوكا؛

فالمطلوب هو تنظيم مباريات نزيهة لانتقاء معلمين من خيرة الطلبة علما وأخلاقا وسلوكا، قال عليه السلام: " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا. "10.

10رواه الترمذي من حديث أبي هريرة، و قال: حديث حسن صحيح. كتاب النكاح، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها حديث رقم 1262.

مع إخضاعهم لتداريب مكثفة علميا ومنهجا، نظريا وتطبقيا، ومعلوم أنه صلى الله عليه و سلم لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قال :يا معاذ بم تقضِ ((قال: أقضي بكتاب الله، قال صلى الله عليه و سلم)) : فإن جاء أمر ليس بكتاب الله، ولم يقض فيه نبي، ولم يقض فيه الصالحون ((قال: أؤم الحق جهدي، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم)) :الحمد لله الذي جعل رسول رسولِ الله يقضي بما رضي به رسول الله))11

ب/ العمل بالعقدة:

إذا كان المؤمنون عند شروطهم، فإنما ذلك لتتضح الأمور وتتحدد العلاقات ويعلم كل ما له وما عليه، وهذا أساس الحكامة الجيدة، سواء في علاقة الوزارة المكلفة بمن يشتغل في مجال التعليم، أو في علاقة المتعلم بمعلمه؛

☚ **أسلوب التعاقد بين الوزارة المكلفة ومن يشتغل في مجال التعليم:**

اتخذت الحكومة قرار توظيف الأساتذة بنظام العقدة، الذي يحدد حقوق كل طرف وواجباته، في مدة محددة، (ولسنا هنا ف مقام محاكمة قرار حكومي) ولكن السؤال المطروح: على أي أساس تم توظيف هؤلاء الأساتذة؟ بتعبير آخر : ما و المشروع الذ تم التعاقد عليه؟ حتى يكون معيارا للتقييم؟

صحيح أن الوزارة الوصية ألزمت كل مؤسسة بوضع مشروعها، ورصدت لذلك امكانيات مالية وبشرية مهمة، لكن كيرا من هذه المشاريع حبر على ورق، وقلما يتم متابعة تلك المشاريع أو التحقق من حساباتها، فبالأحرى تثمين الجد منها، وتقويم الفاشل منها.

وبالرجوع إلى سنة حبيبنا صلى الله عليه وسلم، نجده حريصا على هذا التعاقد؛ تجلى ذلك واضحا من خلال :

- قصة إرساله لمعاذ بن جبل رضي الله عنه قاضيا إلى اليمن، والتعاقد معه قبل الذهاب على مصادر التشريع (القرآن الكريم – السنة النبوية – الاجتهاد)
- قصة الرسول صلى الله عليه وسلم مع ابْنَ اللُّتْبِيَّةِ حنما بعثه جابيا، فكانت المحاسبة على ضوء العقدة بينهما: فعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، يُدْعَى ابْنَ اللُّتْبِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ، قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ. فَقَالَ رَسُولُ

11 الحديث أخرجه أحمد والدارمي وأبو داود والترمذي.

اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا» ثُمَّ خَطَبَنَا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى العَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللَّهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلاَ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ، وَاللَّهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلَأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ " ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ» بَصُرَ عَيْنِي وَسَمْعَ أُذُنِي[12]

☚ **أسلوب التعاقد بين المعلم والمتعلم:**

يستحب للمدرس عند بدء الموسم الدراسي وضع ميثاق شرف بينه وبين الطلبة، تُحدد من خلاله القوانين التب يجب على الطرفين الالتزام بها من أجل ضمان سير جيد للعملية التعليمية التعلمية، حتى يعلم كل طرف ما له وما عليه .

وقد يستنتج ذلك من وضع الرسول صلى الله عليه وسلم لبنة لهذا الأساس فور وصوله للمدينة مهاجرا، حيث " **كتب كتابا بين المهاجرين والأنصاروادع فيه اليهود (أي بني قينقاع وبني قريظة وبني النظير) أي صالحهم على ترك الحرب والأذى (أي أن لا يحاربهم و لا يؤذيهم) و أن لا يعينوا عليه أحدا ، و أنه إن دهمه بها عدو ينصروه، وعاهدهم و أقرهم على دينهم وأموالهم** " [13]

أيضا في مبايعاته صلى الله عليه وسلم، كان يبين واجبات كل طرف، وأثر الوفاء بالالتزامات ترغيبا وتشجيعا على التفعيل الأمثل لذلك الميثاق.

التجلي الثاني / وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا

أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ [14]

---

12 رواه البخاري (9/ 28)

13 السيرة الحلبية ج 2 ص 124

14 يونس: 99

مما لا يختلف فيه أحد؛ أهمية الرغبة في تحصيل العلم، لأن طالب العلم إذا أقبل على العلم باشتياق وهمة عالية، فستهون أمامه كل الصعاب، وتتذلل أمامه كل العقبات، وصدق علال الفاسي رحمه الله حين قال:

كلّ صعب على الشّباب يهون *** هكذا همّة الرّجال تكونُ

قدمُ في الثّرى، و فوق الثُّريا *** همة قدرها هناك مكينُ

آه! لو دام ذلك العزم فينا *** لم تكن في الورى بلادٌ هجينُ

آه! لو دام ذلك العزم فينا *** كان للعالمين منّا شؤونُ

والمتأمل اليوم في حال كثير من المتعلمين يلمس فتورا في الهمم ونكوصا عن بلوغ المراد وترقي سلم المستويات، ويظهر ذلك جليا لكل من يرصد حركية ولوج المتعلمين للمدارس وخروجهم منها، فإِذَا قَامُوا إِلَى الدراسة قَامُوا كُسَالَى يرضون النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ العلم إِلا قَلِيلا، ثم يغادرونها فرحين مسرعين، ولسان حالهم: فر من المدرسة فرارك من الأسد.

فلماذا يأتونها متثاقلي الخطى؟ لماذا ضعفت الرغبة وخارت الهمم؟ لماذا لم تعد مدارسنا مبهجة لأبنائنا؟؟

لاشك أن إحياء الرغبة في التعلم من أولى الأولويات لكل إصلاح، وتحفيز أبنائنا على الجد والاجتهاد صار ضرورة ملحة، والسعي نحو إنشاء مدارس ووضع مناهج تواكب اهتمامات المتعلمين وتخلق البهجة في نفوسهم هو السبيل الأمثل لكل إصلاح، وفي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم خير شاهد، من خلال:

التوجه بالعلم نحو من يطلبه:

إن المتأمل في تاريخ التشريع الإسلامي يقف على تخصيص السنوات العشر الأولى لترسيخ العقيدة الصحيحة في النفوس وربط العباد بخالقهم وتقوية العلاقة الروحية بين الصحابة الكرام ورسولهم المصطفى الأمن، ولهذا بادر الرعيل الأول إلى التضحية في سبيل الدعوة الإسلامية، وامتثلوا أوامر الله تعالى فور نزوها (الصلاة – الصيام – الجهاد – الحجاب – تجنب الخمر...) قالت أمنا عائشة الطاهرة رضي الله عنها: ((إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا))15

15 صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن، رقم الحديث4707

فالقرآن الكريم مصدر عزة وقوة للمسلمين، ومحرك أساس لعقائدهم وتصرفاتهم، يشهد بذلك القاصي والداني، كما في قول نابليون بونابرت إمبراطور فرنسا وقائدها العسكري الشهير :" لم أكن أعرف أن الإسلام قوي بما يحمل علماؤه في صدورهم وعقولهم، ويبدو أن القرآن الذي يحملونه قوة عليا لا تقهر" 16

كما يظهر ذلك جليا في حديث ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ((من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن ؟ فقال أبو هريرة فقلت أنا يا رسول الله فأخذ بيدي فعد خمسا وقال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب))[17]

دون أن ننسى تخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم حيزا مهما من دعوته للنساء، حيث لم يقتصر تعليمه صلى الله عليه و سلم لهن على توجهه خطابا عاما يشملهن مع الرجال في المواعظ وخطب الجمعة و الأعياد، بل إنه لما تبدى له رغبتهن في الاستزادة من العلم و رأى حرصهن على ذلك أجابهن، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (أن النساء قلن للنبي صلى الله عليه و سلم: اجعل لنا يوما، فوعظهن و قال :"أيما امرأة مات لها ثلاث من الولد كانوا لها حجابا من النار"، قالت امرأة: و اثنان ؟ قال :"و اثنان").18 فها هو النبي صلى الله عليه وسلم يواعدهن نزولا عند طلبهن و رغبتهن و يخصص لهن وقتا للتعليم و الدرس.

وقد تنبه علماء المسلمين لهذا الأمر قديما ، وها هو البخاري قد عقد في كتاب العلم بابا أسماه :باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا ، و أورد فيه حديثا لمعاذ رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه و سلم قد نهاه فيه عن بث بعض الحديث، كما أورد فيه أثرا لأبي الطفيل عن علي قال فيه : (حدثوا الناس بما يعرفون).[19]

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن المراد بقوله (بما يعرفون) أي بما يفهمون .20

ومنه نقول إن ما نتوجه به إلى الطالب الفهيم خلاف ما نخاطب به من هو أقل فهما.

---

16 - علماء الغرب يدخلون الإسلام : محمد حلمي ، ص 19 . النهضة العربية للصحافة والإعلان – ط 1 / 1994م .

17 سنن الترمذي (4/ 551) وقال أبو عيسى هذا حديث غريب

18 - البخاري (140/3) كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسبت و قول الله عز و جل :"و بشر الصابرين"، ح:1249

19 - البخاري مع الفتح(272/1) كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا، ح :127

20 - الفتح (273/1)

وما أجمل أن تنفق الأموال وتصرف الجهود في إذكاء روح التعلم عند المتعلمين، وكذلك الموجهون، ينبغي لهم عند القيام بتوجيه التلاميذ ألا ينطلقوا من النقط المحصل عليها فقط، بل لا بد من الضروري الوقوف على رغبات التلميذ الحقيقية المرتكزة على مؤهلاته واستعداده.

ومن الأكيد أيضا انتهاج أسلوب التشويق والتحفيز، ذلك أن المعلم إذا استطاع تشويق المتعلم وإثارة فضوله العلمي، فإنه سيضمن إقبال المتعلم على ما يدرسه بهمة ونشاط، بل سيخلق فيه الرغبة وعلو الهمة، وهذا ما أفلح فيه النبي صلوات ربي وسلامه عليه، وحقق فيه بفضل الله تعالى نجاحا منقطع النظير.

ولتحقيق ذلك يستلزم عدة أمور؛ منها:

- تفادي وقوع المتعلم في الملل، لحديث عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه وهو يرد على من طلبوا منه أن يعلمهم كل يوم : (**أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم و إني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السآمة علينا**) 21
- احتراف طرق التواصل والتخاطب؛ كمهارات طرح السؤال، لحديث أبي بكرة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم على بعيره وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه ثم قال أي يوم هذا؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه قال أليس يوم النحر؟ قلنا : بلى قال : فأي شهر هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال : أليس بذي الحجة ؟ قلنا : بلى قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه .[22]
- تغيير نبرات الصوت؛ مثل رفع الصوت أو خفضه بحسب ما يقتضيه المقام، حيث بوّب البخاري باب من رفع صوته بالعلم وساق حديث عن عبد الله بن عمرو قال : تخلف النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاث "23 وعن جابر بن عبد الله قال كان

---

21 أخرجه الترمذي : (كتاب : الاستئذان والآداب عن رَسُولِ الله - صَلَّى الله عليه وسَلَّم - , تحت باب مطلق معنون له بـــ (باب) , حديث (2935)) ,قال عنه الترمذي: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحِيحٌ. " والحديث له شواهد في الصحيحين.

أخرجه البخاري : (كتاب : العلم , باب : ما كانَ النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلّم - يَتَخَوَّلُهمْ بالموعظة والعلم كي لا ينفِروا, حديث : (68)) , وأخرجه مسلم (كتاب : صفة القيامة والجنة , باب : الاقتصاد في الموعظة , حديث (7078)).

22 البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، رقم 1652

23 متفق عليه (البخاري برقم 60 ومسلم برقم 214)

رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صـوته واشـتد غضـبه "24 وينبغي على المعلم والداعية الاعتدال فبحسب الموقف التعليمي يكون التفاعل .

كما أن مسـاحة الترحيب بالمتعلمين وحسـن اسـتقبالهم مسـاحة واسـعة وبسـتان يانع نقتطف منه هذه الورود الفيحاء:

حديث صفوان بن عسال ـ رضي الله عنه ـ الذي أتى إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله! إني جئت أطلب العلم. فقال له النبي -صـلى الله عليه وسـلم-: «مرحباً بطالب العلم؛ إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم على بعض حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب25«...،

حديث أبي رفاعة ـ رضي الله عنه ـ قال: «انتهيت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يخطب، قال: فقلت: يا رسـول الله! رجل غريب جاء يسـأل عن دينه، لا يدري ما دينه، قال: فأقبل عليَّ رسـول الله (وترك خطبته حتى انتهى إليَّ، فأُتي بكرسـيٍّ حسـبت قوائمه حديداً. قال: فقعد عليه رسـول الله -صـلى الله عليه وسـلم-، وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته فأتم آخرها»26

وكان النبي -صـلى الله عليه وسـلم- يسـتقبل الوفود ويحسـن وفادتهم، ويتخذ لذلك لباسـاً خاصـاً وخطيباً يخطب بين يديه إشعاراً منه بمزيد الاهتمام بهم؛ فلما أتى وفد عبد القيس رحب بهم -صلى الله عليه وسلم- ، فقال: «مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى..»27 ، ولما قدم الأشعريون أهل اليمن قال النبي -صلى الله عليه وسـلم-: «أتاكم أهل اليمن هم أرقُّ أفئدة، وألين قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية»28، وروي في وفادة وائل بن حجر ــ رضي الله عنه ــ على النبي -صلى الله عليه وسلم-: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- بشر به أصحابه قبل قدومه، فقال: يأتيكم بقية أبناء الملوك. فلما دخل رحب به، وأدناه من نفسـه وقرب مجلسـه وبسط له رداءه، وقال: اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده»29

وحديث ابن مسـعود ــ رضي الله عنه ــ قال: «أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- رجل فكلَّمه فجعل ترتعد فرائصه فقال له -صلى الله عليه وسلم-: هوِّن عليك؛ فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد»30

---

24 مسلم/ كتاب الجمعة/ رقم592

25 أبوداود (3641) والترمذي(2682) وصححه الألباني في صحيح أبي داود694/2

26 مسلم/ كتاب الجمعة / 876

27 البخاري/ كتاب الإيمان / باب أداء الخمس من الإيمان/ 53

28 متفق عليه (البخاري برقم 4388 ومسلم برقم 52)

29 البداية والنهاية لابن كثير/ الجزء الخامس

30 ابن ماجة في سننه، (3312)

وعن عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ قال في خطبة له: «إنَّا والله قد صحبنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير»31

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «إنْ كان النبي -صلى الله عليه وسلم- ليخالطنا حتى يقول لأخٍ لي صغير: «يا أبا عمير! ما فعل النغير؟»32

وقال جرير بن عبد الله رضي الله عنه : ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم ولا رآني إلا ضحك "33 .

التجلي الثالث/ الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها:[34]

إنه لحديث ماتع ورائع، مارسه النبي -صلى الله عليه وسلم بعمله قبل أن ينطق بها لسانه الشريف، فتراه صلى الله عليه وسلم مجددا في مناهج دعوته ووسائلها، وفي خطط حربه وسلاحها[35]، بل حتى أمور الحياة الشخصية عرفت تحولا عبر مسار سنوات الدعوة؛ لباسا وترجيلا للشعر[36] ونوعية الأكل...

فكيف لا نسعى للرقي بمناهجنا التعليمية والوسائل والتقنيات... مستثمرين في ذلك كله ما وصلت إليه البشرية من اكتشافات ونظريات، وما تم اختراعه من وسائل حديثة، ينجذب لها المتعلمون ويتفاعلون معها أكثر، لأن كل الدول المتقدمة اليوم مدركة لأهمية التغيير و التطوير و الارتقاء بالتعليم، خصوصا في عصر المعلوماتية، و بعد دخول و انتشار الإنترنت و التقنيات الحديثة و التي ساهمت بتوفير العلوم و المعرفة بشكل مجاني و متاح للجميع.

---

31 أحمد في المسند (504) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن

32 متفق عليه (البخاري برقم 4971 ومسلم برقم 2150)

33 مسلم/ فضائل الصحابة/ 2475

34 روى الترمذى (5 / 51) و ابن ماجه (2 / 1395) و القضاعى فى مسند الشهاب (1 / 65

35 وقد تطورت الفنون القتالية والفكر العسكري على يد النبي- صلى الله عليه وسلم - والتي تستخدمها الآن أقوى الجيوش العسكرية، وذلك من: الإعداد للمعركة، دفع عناصر الاستطلاع، إصدار أمر القتال، تنظيم التعاون، وإشراف الرسول القائد على الاستعداد القتالي للمعركة وإصدار تعليمات القتال ثم يقوم بإدارة المعركة.

3636 كان هدي النبي أنه يجعله ضفائر، يدل على ذلك ما رواه "الترمذي" و"ابن ماجه" في "سننهما" بسنديهما إلي أم هانئ رضي الله عها قالت: «قدم النبي مكة وله أربع غدائر تعني عقائص». رواية ابن ماجه: "تعني ضفائر." وروي البخاري ومسلم وغيرهما بأسانيدهم إلي ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان أهل الكتاب يسدلون أشعرهم وكان المشركون يفرقون رؤوسهم وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه فسدل ناصيته ثم فرق بعد.« قال ابن القيم في "الهدي": «والسدل من ورائه ولا يجعله فرقتين. والفرق أن يجعل شعره فرقتين كل فرقة ذؤابة» انتهي كلام ابن القيم.

فأحد السمات التي تشترك فيها غالبية الجهات التعليمية حول العالم اليوم هي كونها ما زالت تتبنى و تدعم الطرق التقليدية في التعليم .فتجد المدرس يدخل و يقرأ و يناقش و يخرج، و يأتي الذي بعده، و هكذا. فالأنظمة و الأساليب التعليمية هي نفسها منذ مئات السنين، رغم تطور التقنيات و الصناعات المختلفة على مر السنين. عذرا، لم أفصد الأساليب التعليمية، فهي في الأغلب، إن لم تكن جميعها، نفس الأسلوب و هو الاعتماد على الكتب فقط كمصدر للمعلومات...

مما سبق نرى أن عملية تطوير التعليم بصورة عامة تتطلب التأكيد على الاهتمام بإعادة النظر في البنود التالية كأولوية في إصلاح التعليم:

1ـــ أولوية تطوير الخدمات التعليمية في رؤية الحكومة والبرلمان.

2ـــ توظيف الثورة العلمية التكنولوجية لتطوير التعليم.

3ـــ مواكبة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي صاحبت التطور المجتمعي ومتطلباته.

التجلي الرابع/ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا :

إن خالق الخلائق أعلم بما فيهم من ضعف، و يعرف غاية وسعهم، لذلك أرسل نبيه بالملة السمحة الحنيفية و أساسها قوله تعالى: " يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر"37. فعلى هذا قام منهج النبي صلى الله عليه وسلم في تعاطيه مع جميع الأمور.

ونجد أن التيسير و رفع الحرج هما مدار وصيته صلى الله عليه و سلم لأبي موسى الأشعري و معاذ لما أنفذهما إلى اليمن ،(يسرا ولا تعسرا ، و بشرا و لا تنفرا)38.

يقول المستشرق البريطاني وليم موير– نقلا عن د. سعيد حوى – في إحدى مقالاته : "كانت السهولة صورة من حياته كلها، وكان الذوق والأدب من أظهر صفاته في معاملته لأقلِّ تابعيه، فالتواضع، والشفقة، والصبر، والإيثار، والجُود ، كلها صفات ملازمة لشخصه، وجالبة لمحبَّة جميع مَنْ حوله، كان إذا لقي مَنْ يفرح بنجاحٍ أصابه أمسك يده وشاركه سروره، وكان مع المصاب والحزين شريكًا شديد العطف، حَسَنَ

37 - سورة البقرة ، (الآية : 185)

38 - صحيح مسلم ، كتاب الجهاد و السير ، باب في الأمر بالتيسير و ترك التنفير ،ح : 3269

المواساة، وكان في أوقات العسر يقتسم قُوتَهُ مع الناس، وهو دائم الاشتغال والتفكير في راحة مَنْ حوله وهناءتهم"39.

ولتطبيق هذا الأساس نعرض للنقط التالية:

أ/ قرن العلم بالعمل:

إن طلب العلم و تلقيه ليس ترفا، و لا التعلم والإقبال عليه تجملا. و لقد علم الإسلام الناس أن الطاقات لا تصرف بدون طائل ، و أن الوقت لا يصرف فيما لا ينفع صاحبه أو الآخرين حوله.

وقد كان النبي صلى الله عليه و سلم يتعوذ من العلم الغير النافع كما في حديث النسائي عن أنس بن مالك قال:(إن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يقول: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع و قلب لا يخشع و دعاء لا يسمع و نفس لا تشبع " ثم يقول :"اللهم إني أعوذ بك من هؤلاء الأربع").40

فالعلم الذي لا نفع فيه ،لا بد و أن فيه من الأذى و المضرة ما يتعدى صاحبه إلى غيره؛ ومن ذلك صنوف العلوم و التكنلوجيا الموجهة للسيطرة على العالم عبر ارتكاب مختلف الجرائم في حق الإنسان.

وهب أن علما لايضر،لكنه في آن الوقت لا يفيد ، فأي عقل قويم و فهم سديد يتجه صوبه و يقبل عليه .

فالعلم الذي لا يرفع صاحبه : يهذب نفسه و يقوم فكره و يهديه نحو التي أقوم ، يصيره كذاك الذي قال عنه الله سبحانه "و أضله الله على علم".41

لأجل هذا، و لغيره ركز النبي صلى الله عليه و سلم على أهمية العلم بما علم، فأثر توظيف المعارف و تطبيق المكتسبات النظرية سبيل لتثبتها وحصول المنفعة المرجوة منها، أو بلغة البيداغوجيا تحصيل الأهداف و تحقيقها. و هذا عين ما نطقت به الآية الكريمة: "ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم و أشد تثبيتا".42

فما فائدة العلم إذا لم يكن للعمل و التطبيق و التنزيل على مجريات الواقع و أحداثه؟.

و مما ورد بهذا الخصوص، قول عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه:(كنا في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم لا نجاوز السورة من القرآن حتى نحفظها و نعمل بها، فتعلمنا العلم و العمل)43.

---

39 كتاب (الرسول صلى الله عليه وسلم) لسعيد حوى، ص 66

40 - سنن النسائي 5403 - 5470

41 - سورة الجاثية، (الآية : 23)

42 - سورة النساء ، (سورة النساء ، الآية : 66)

43 - مسند الإمام أحمد بن حنبل ج5/ص410

العملية التعليمية ليست مجالا لسرد المعلومات أو استعراض المعارف، فلا ينبغي للمعلم أن يسلك طريقا عموديا في التلقين

ب/ كلما أسلوب التدرج و مراعاة أحوال المتعلمين:

تقول أمّنا عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن نزول القرآن الكريم: «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصَّل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر؛ لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا؛ لقالوا: لا ندع الزنا أبداً..» 44

وبهذا راعى الشارع أحوال الناس عند مخاطبتهم بالشرع، وهو ما يستلزم استبصار المعلم المربي بمن يهدف تلقينه معرفة أو تربيته على قيمة من قيم الإسلام، فلكل قفل مفتاح، ولكل داء دواء، أما من جعل الناس سواء؛ فليس لحمقه دواء.

فالمربي بعلمه وحكمته وتجربته يختار الأسلوب المناسب بناء على معاينة أحوال المتعلمين وتقييم مستواهم الفكري والعلمي، واستشعار أحوالهم النفسية والصحية والاجتماعية...

ولنا في حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- معاذاً إلى اليمن خير مثال، حينما قال عليه الصلاة والسلام وهو يوجه سفيره إلى منهج الدعوة الذي سيتبعه في تبليغ دعوة الله تعالى لأهل اليمن النصارى: (إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) 45

وأيضا فيما رواه البخاري في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه معلقاً قال: حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله. وهو ما ترجمه عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ حينما قال: «ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة46 .«

---

44 صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن، رقم الحديث 4707

45 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم الحديث 19

46 رواه البخاري تحت رقم 127

وإن من التدرج ومراعاة الحال في التربية والتعليم عدم تقديم ما حقه التأخير، وأن يُخَصَّ بالعلم أناسٌ دون غيرهم مراعاةً للفهوم وتقديراً للمصالح. فقد روى البخاري في صحيحه قال: (**باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا) وذكر تحته حديث أنس .رضي الله عنه .قال: ذُكِرلي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لمعاذ: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة» قال: ألا أبشر الناس؟ قال: لا؛ إني أخاف أن يتكلوا**»47

قال العيني .رحمه الله .: (**وفي الحديث بيان وجوب أن يُخَصَّ بالعلم الدقيق قومٌ فيهم الضبط وصحة الفهم، وأن لا يُبذل لمن لا يستأهله من الطلبة ومن يخاف عليه الترخص والاتكال لتقصير فهمه**)48

ج/ أسلوب الرفق والرحمة:

إذا تأملنا قول ربنا جل في علاه وهو يتحدث عن أكرم رسله صلى الله عليه وسلم : ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)) 49

وافتتاح جل سور المصحف بالبسملة المتضمنة لصفة الرحمة (الرحمن الرحيم)

واختيار الإسلام لشعار السلام تحية لأهله...

إذا تأملنا كل ذلك فإننا سنعلم علم اليقين أن الإسلام لا يرتضي غير منهج الرحمة والرفق سبيلا.

وذلك ما شخصته السيرة العطرة لخير البشر صلى الله عليه وسلم؛ في صور شتى، لأنه إذا كان ديننا الحنيف قد نهى عن التنابز بالألقاب لما في ذلك من إساءة للآخر وتنقيص منه، فإن المناداة بالاسم الطيب أمر محمود وغير منبوذ لِما له من أثر إيجابي في النفس خصوصا إن صدرت من شخص له مقام رفيع وقدر عظيم في النفس .لذا لا ضيْر أن يخص المدرس بعض تلاميذه بألقاب جميلة تتناسب مع فعل أو أثر طيب بدا منهم، لقب من شأنه أن يحفزهم ك " القارئ "أو " الصحفي الصغير " " فضيلة الأستاذ" أو " سعادة المهندس"... وهكذا . و قد كنّى الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة ودّان عليّا بأبي تراب حين وجده نائما هو وعمار بن ياسر وقد علق به التراب ، فأيقظه عليه الصلاة والسلام برجله وقال له : " قم أبا تراب " 50

---

47 رواه البخاري تحت رقم 129

48 الرسول المعلم ، ص82

49 سورة الأنبياء الآية 107

50 السيرة الحلبية ج 2 ص 173

فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يثمّن ما صلح من أعمال الصحابة ويبشرهم بالجنة، ويجبر خاطر من انكسر خاطره ، كما حدث مع عبد الله بن مسعود الذي (كان قصيرا جدا طوله نحو ذراع خفيف اللحم ، ولما ضحك الصحابة رضي الله عنهم من دقة رجليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لرجل عبدالله في الميزان أثقل من أحد)51، وكذا كنى صلى الله عليه وسلم "أبا هريرة" لما رأى رحمته بالهرة ورفقه بها...

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم بأصحابه ممازحتهم عند الحاجة:

فالجديّة أمر مطلوب ولا مناص منه ،لكن هذا لا يعني أن يكون الأستاذ عبوس الوجه متجهما ، بل لا بد من كسر هذا الحاجز بين الحين والآخر بطريقة لا تجعل المتعلم يستهتر به أو ينقص من شأنه . ولهذا فالرسول صلى الله عليه وسلم مع جسامة المسؤولية الملقاة على عاتقه ، كان دائم الابتسام ، يمازح صحبه بما يجعل السرور يتسربّ إلى قلوبهم دون استئذان، فقد جاء عن بعض الصحابة رضي الله عنهم : ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم52 .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت في النبي صلى الله عليه وسلم دعابة . وعن بعض السلف: كان للنبي صلى الله عليه وسلم مهابة، فكان يبسط الناس بالدعابة. قال صلى لله عليه وسلم لعمته صفية : "لا تدخل الجنة عجوز، فبكت ،فقال لها وهو يضحك : الله تعالى يقول (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا) سورة الواقعة، الآية 53"53

ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم صهيبا يأكل قثاء ورطبا وهو أرمد إحدى عينيه ، فقال له : تأكل رطبا وأنت أرمد؟ فقال : إنما آكل من ناحية عيني الصحيحة فضحك صلى الله عليه وسلم " 54

---

51 السيرة الحلبية ج1ص397.

52 الترمذي (3603) وقال حسن غريب

53 الترمذي في الشمائل، (2987) وصححه الألباني

54 السيرة الحلبية ج2 ص 33

خاتمة:

لقد انتهج النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ دعوته وتعليم شريعة ربه للعباد مناهجا تعليمية فعالة، وأساليب تربوية ناجعة، مكنته بفضل الله تعالى أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ظلمات الجهل والضلال، وأنوار الهداية والعلم.

وباستقراء السيرة النبوية العطرة على صاحبها أزكى الصلاة والسلام، وسنته الفيحاء، نخلص إلى ذكر جملة من تلك الأساليب الرائدة، التي نفاجأ اليوم بمن يتشدق بنسبتها للغربيين، وهم الذين تعلموها من المسلمين ونحلوها من سراجهم الوهاج واقتبسوا أنوارها من هدي النبي العدنان صلى الله عليه وسلم.

ومما لا شك فيه أن تلك الواحة الفيحاء لا يجف ماؤها، والنخلة المعطاء لا تنقطع تمارها، لأن نصيب أي منهج من الصحة يقاس إذا توفرت الظروف المناسبة بمقدار نجاحه ،وبالنتائج التي حققها ، ونحن إذا طبقنا هذه القاعدة على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في التربية لوجدنا أن الآثار التي حققها هذا المنهج، والنجاح الباهر الذي وصل إليه لم يصل إليه أي منهج تربوي في التاريخ. 55 بدليل أن المنهج النبوي في التربية والتعليم نجح نجاحا باهرا ليس له مثيل في التاريخ الإنساني حين استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن ينشئ جيلا راقيا من الصحابة رضي الله عنهم يتمتعون بشخصية إسلامية متميزة لم يستطع المفكرون والمصلحون وعلماء الاجتماع والفلاسفة في شتى بقاع الأرض قديما وحديثا أن يصلوا بمجتمعاتهم إلى معشار ما وصل إليه النبي صلى الله عليه وسلم بالمجتمع الإسلامي.

لهذا ترحب السنة النبوية دائما بمن يقصدها يبتغي منا الحل لمشاكله، والاستبصار بعيوبه، واستلهام سبل الخير. ومن واجبنا جميعا حمل هم مدرستنا المغربية والسعي الحثيث نحو مساعدتها على تجاوز واقعها المؤلم، عوض الاقتصار على النقد الهدام، عملا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله و هو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته " 56

وإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم قد استطاع أن يحدث تغييرا جذريا في الجزيرة وما حولها ، وحول العرب من أمة جاهلية تعيش على هامش التاريخ إلى أمة مؤهلة لقيادة العالم بأسره في زمن قصير ، وشهد له بذلك القاصي والداني ، وبصدق ((فالعالم هو أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، هذا النبي الذي أحل دينه في موضع الاحترام والإجلال ،فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات ، خالد خلود الأبد ، وإني

---

55 - أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة والتربية : الشهيد يوسف خاطر حسن الصوري ،ص 13 . (د – ط) (د – ت) .

56 - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ، رقم الحديث 893 .

أرى كثيرا من بني قومي قد دخلوا في الدين على بينة ، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أروبا) وإذا أراد العالم النجاة من شروره ، فعليه بهذا الدين ، إنه دين السلام والعدالة والسعادة في ظل شريعة ... لم تنس أمرا من أمور الدنيا إلا رسمته ،ووزنته بميزان لا يخطئ أبدا))57

وغير خاف أن الأمم التي تنشد مستقبلا أفضل لأجيالها تراجع منظومتها التربوية كاملة بين الفينة والأخرى، لاكتشاف مكامن الخلل والإخفاق والعمل على تسديدها، ومكامن التميز والإبداع والعمل على تعزيزها ساعية إلى تحقيق قصب السبق لأجيالها في ميدان المعرفة المتقدمة وتطبيقاتها المتنوعة للحفاظ على ديمومة إقلاعها الحضاري .

وكي تقلع أمتنا مجددا لابد وأن تعيد النظر في تربية أجيالها وتركز على مقوماتها المعنوية التي هي أساس الإبداع والتميز والتفوق، منطلقة من النموذج الأمثل ألا وهو النموذج النبوي الخالد (المنهج النبوي التعليمي) فقد كان محمد صلى الله عليه وسلم معلما ناضجا، ومربيا فاضلا.

وإننا لمتفائلون أن هذا الجيل إن التزم الإسلام عقيدة وعملا، وأخذ تعاليمه أحكاما ومنهاجا، فإنه سيعيد سيرة الأولين في المجد والرفعة، ويقيم في العالمين دولة قوية صلبة تضاهي الأمم الكبرى في عزتها وكبريائها ... ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ورحم الله عمر رضي الله عنه القائل :" نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله " .

لهذا ندعو إلى:

- تعزيز الاهتمام بالسيرة النبوية الشريفة ،وبيان دورها في التربية والتعليم .
- العمل على تفعيل الوسائل والأساليب والأهداف والأسس التعليمية التربوية انطلاقا من السيرة النبوية .
- دراسة ظاهرة السبق التربوي من خلال المنهج النبوي التعليمي .
- وضع صيغة مقترحة للاستفادة من منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية والتعليم في مؤسساتنا التربوية .

---

57 - أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية : أحمد علي الملا ، ص 103 (بتصرف). دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق - ط 2 / 1401هـ - 1981م .

وصلى الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

لائحة المراجع والمصادر:

- القرآن الكريم
- أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية: أحمد علي الملا
- أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة والتربية: الشهيد يوسف خاطر حسن الصوري
- إصلاح التعليم في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا": تقرير صادر عن البنك الدولي سنة 2008
- البداية والنهاية : ابن كثير
- تقرير »خمسون سنة من التنمية البشرية وآفاق سنة 2025 « : صدر في سنة 2005 بمناسبة الذكرى الخمسينية لاستقلال المملكة المغربية
- التقرير الأول للمجلس الأعلى للتعليم حول حالة المنظومة الوطنية للتربية والتكوين وآفاقها الصادر سنة 2008
- تقرير صادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي (جنيف- سويسرا) حول وضعية التعليم بالعالم سنة 2013
- تقرير صادر عن برنامج الأمم المتحدة للتنمية حول التنمية البشرية في العالم. سنة 2009
- تقرير منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة - اليونسكو- يناير 2014
- الخالدون المائة : مايكل هارت
- الرسول المعلم : عبدالفتاح أبو غدة
- الرسول صلى الله عليه وسلم: لسعيد حوى
- سنن الدارمي
- سنن ابن ماجة
- سنن أبي داود
- سنن الترمذي
- سنن النسائي
- السيرة الحلبية: علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي
- صحيح أبي داود: الألباني
- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- علماء الغرب يدخلون الإسلام : محمد حلمي
- علماء الغرب يدخلون الإسلام : محمد حلمي
- في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين : محمد عزت الطهطاوي
- مسند الإمام أحمد